المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل



طبعة ثانية

الكتـاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

حزقيال

أطلق هذا الاسم على السفر نسبة إلى حزقيال الشخصية الرئيسية التي تضمنها ولم يرد الاسم حزقيال في أي مكان آخر بالعهد القديم (الكتب المقدسة)، ويعني الاسم في العبرية «الرب يقوي».

أقسام ومشتملات السفر

أولاً: عقاب يهوذا وأورشليم (١:١-٢٤:٢٧).

١- دعوة حزقيال وإرساليته (١:١-٣:٢٧).

٢- نهاية أورشليم والسبي (٤:١-٥:١٧).

٣- نبوة ضد الجبال مركز الوثنية (٦:١-١٤).

أ- تدمير المرتفعات (٦:١-٧).

ب- سيذكر المسببون يهوه (الرب) (٦:٨-١٠).

جـ- سوف تعرف إسرائيل يهوه أنه الله (٦:١١-١٤).

٤- نبوة بقرب النهاية (٧:١-٢٧).

٥- الزيارة للهيكل وخطية أورشليم (٨:١-١١:٢٥).

أ- رؤيا الوثنية في الهيكل (٨:١-١٨).

ب- قتل الأثيم (٩:١-١١).

جـ- رؤيا أورشليم وتدميرها بالنار (١٠:١-٢٢).

د- قضاء ورجاء (١١:١-٢٥).

٦- رموز خاصة بالسبي والغزو (١٢:١-٢٨).

٧- إعلان ضد الأنبياء والنبيات (١٣:١-٢٣).

٨- إعلان القضاء ضد الوثنية وأورشليم (١٤:١-٢٣).

٩- الكرمة (١٥:١-٨).

١٠- الزوجة الخائنة (١٦:١-٦٣).

١١- النسران الكبيران وشجرة الأرز (١٧:١-٢٤).

١٢- مسئولية الفرد (١٨:١-٣٢).

أ- جميع الأنفس هي لي (١٨:١:٤).

ب- البار سيحيا (١٨:٥-٩).

ج- الابن الشرير للرجل البار سيموت (١٨: ١٠-١٣).

د- الابن البار للرجل الشرير سيحيا (١٨: ١٤-٢٠).

هـ- الشرير الذي يتوب يتبرر ويحيا (١٨: ٢١-٢٤).

و- طريق الرب مستقيمة (١٨: ٢٥-٢٩).

ز- القلب الجديد والروح الجديد (١٨: ٣٠-٣٢).

١٣- الشبلان والكرمة (١٩: ١-١٤).

١٤- عدم أمانة إسرائيل والدعوة للعودة (٢٠: ١-٤٩).

١٥- سيف الرب المنتقم (٢١: ١-٣٢).

١٦- دعوة ضد أورشليم لخطاياها (٢٢: ١-٣١).

١٧- الأختان الخائنتان أهولة وأهوليبة (٢٣: ١-٤٩).

١٨- رموز حصار أورشليم الأخير (٢٤: ١-٢٧).

أ- القدر الذي على النار (٢٤: ١-١٤).

ب- موت زوجة النبي حزقيال (٢٤: ١٥-٢٧).

ثانياً: نبوات عن الشعوب الأجنبية (٢٥: ١-٣٢: ٣٢).

١- نبوات ضد عمون وموآب وآدوم وفلسطين (٢٥: ١-١٧).

٢- إعلان القضاء عن صور (٢٦: ١-٢١).

٣- مرثاة على صور (٢٧: ١-٣٦).

٤- نبوات خاصة بصور وصيدون (٢٨: ١-٢٦).

٥- إعلانات القضاء على مصر (٢٩: ١-٢١).

٦- ظلام وقتام على مصر (٣٠: ١-٢٦).

٧- سقوط الأرز العظيم (٣١: ١-١٨).

٨- مرثاة على فرعون ومصر (٣٢: ١-٣٢).

ثالثاً: عودة إسرائيل (٣٣: ١-٣٩: ٢٩).

١- عمل النبي : الإعداد لعصر جديد (٣٣: ١-٣٣).

٢- رعاة إسرائيل وأنانيتهم والراعي الصالح (٣٤: ١-٣١).

أ- إعلان قضاة الرب على رعاة إسرائيل (٣٤: ١-١٠).

ب- بهوه الراعي الصالح (٣٤: ١١-١٦).

ج- الحكم بين رعية ورعية (٣٤: ١٧-٢٢).

د- الملك المسياني كراعٍ جديد (٣٤:٢٣-٢٤).

هـ- عهد سلام (٣٤:٢٥-٣١).

٣- إعلان نبوة ضد جبل سعير (٣٥:١-١٥).

٤- سترجع إسرائيل وتبارك (٣٦:١-٢٨).

٥- قيامة العظام اليابسة واتحاد يهوذا وإسرائيل (٣٧:١-٢٢٨).

٦- جوج وماجوج (٣٨:١-٣٩:٢٩).

أ- مقدمة (٣٨:١-٢).

ب- جوج وجمهوره (٣٨:٣-٩).

ج- مكيدة جوج (٣٨:١٠-١٣).

د- جوج ضد إسرائيل (٣٨:١٤-١٦).

هـ- تدمير قوات جوج (٣٨:١٧-٢٤).

و- تدمير جوج ودفنه (٣٩:١-١٦).

ز- جمهور وفرسان جوج في عيد الذبح للرب (٣٩:١٧-٢٤).

ح- عودة أنصبة يعقوب (٣٩:٢٥-٢٩)

رابعاً: رؤى الله عن الجماعة العائدة (٤٠:١-٤٨:٣٥).

١- ترتيبات الهيكل (القاعات الداخلية والخارجية) (٤٠:١-٤٩).

٢- الهيكل وقدس الأقداس (٤١:١-٢٦).

٣- أماكن الكهنة (٤٢:١-٢٠).

٤- عودة الرب إلى الهيكل وتدشين البيت (٤٣:١-٢٧).

٥- أنظمة الخدمة بالهيكل (٤٤:١-٣١).

٦- أنظمة الهيكل (٤٥:١-٤٦:٢٤).

٧- النهر الذي ينبع من الهيكل (٤٧:١-٢٣).

٨- انصبة الأسباط والكهنة والمدينة والرئيس (٤٨:١-٣٥).

حزقيال الكاهن

جاء حزقيال من أصل كهنوتي وهو ابن بوزي (١:٣). ولا يُعرف عن والده الكثير. وأخذ ضمن المسبيين مع يهوياكين ملك يهوذا، وبعض سكان أورشليم إلى السبي في بابل (١:٢). والجدير بالإشارة أن نبوخذناصر ملك بابل حمل أول الأسرى من أفضل الشعب والأمراء والحكام والمهرة والصناع، تاركاً في أرض يهوذا بؤساء الشعب والكادحين منهم. وكان حزقيال من بين أول الأسرى (٢مل ٢٤:١٤، حزقيال ١:٢-٣) وبذلك يمكن الحكم على حزقيال بأنه كان واحداً من الطبقة الأرستقراطية بين سكان أورشليم. وربما انحدر من سلالة صادوق الكاهن الأعظم

الذي نصبه سليمان ملك إسرائيل.

واستقر حزقيال مع رفاقه على شاطيء نهر خابور، الذي ينبع من الفرات، عبر نبور، المدينة التي تقع جنوب شرق بابل، وفي قرية تل أبيب القرية المبنية على حافة نهر خابور في بابل (١٥:٣) تلقى حزقيال دعوته وهو ساكن بين المسبيين هناك في السنة الخامسة من سبي يهوياكين الملك (٢:١) أي عام ٥٩٣ ق.م. وكانت آخر نبواته المكتوبة في عام ٥٧١ ق.م. (حز ١٧:٢٩) وهذه الفترة التي تزيد على العشرين عاماً بقليل تشمل ما قبل سقوط أورشليم عام ٥٧٨ ق.م. وما بعد السقوط.

ويرى بعض العلماء أن الجو البابلي العام، كان له الأثر الكبير على فكر حزقيال، وتصوراته لعبادة البابليين للإلاهة إشتار، والإله مردوك، مما أشعل غيرته المتقدة على شعبه. وجعله يحذرهم بشدة ضد الانسياق وراء الأوثان. غير أن هذه المؤثرات الخارجية لا تحسب شيئاً بالنسبة لما ورد بالسفر، لأن النبي حزقيال كانت له شخصيته المتميزة غير العادية، فقد جاءته إعلانات القدير بأسلوب حصار إلهي حيث يقول إن «السموات انفتحت فرأيت رؤى الله» (١:١ب). «فدخل فيَّ روح لما تكلم معي وأقامني على قدمي» (٢:٢)... إلخ، كما أنه أعطى روحاً وبصيرة جديدين. هذه كلها تسلط ضوءاً على صياغة رسالته وتعطي خلفية لما تضمنته.

كان حزقيال متزوجاً من زوجة وفية مخلصة ولم يكن لهما أطفال، وله بيته الخاص (١:٨). وكان شيوخ المسبيين يأتون إليه للتشاور (١:١٤، ١:٢٠، ٢٣، ٢٤:٢٣). كانوا يأتون إليه في جماعات غفيرة متعطشة لسماع رسائله (٣٣: ٣٠-٣٢). وقد خدم شعبه خدمة ساهرة، خدمة نبي وراع يهتم برعيته.

وعندما ماتت زوجته أمره الرب قائلاً له: «لا تنح ولا تبك ولا تُنزل دموعك، تنهد ساكتاً» (٢٤:١٥-١٧) رمزاً وإشارة بأن الخراب الآتي على أورشليم كان غير قابل للرثاء، لأن الرب قد قضى بذلك.

وبقي حزقيال صامتاً حتى جاءته الأخبار بأن المدينة أورشليم تهدمت وسقطت (٢٤:٢٧، ٣٣:٢١-٢٢). «وكانت يد الرب عليَّ مساء قبل مجيء المنفلت، وفتحت فمي حتى جاء إليَّ صباحاً فانفتح فمي ولم أكن بعد أبكم».

وبعد سقوط أورشليم، تحولت إعلانات حزقيال من كونها رسائل حزن واكتئاب، إلى رسائل رجاء. وصف في رؤياه الهيكل المردود والشعب والأرض وقد صارت مقدسة للرب.

واستجابة لرؤية الإله السماوي القدير، صار حزقيال المتحدث باسم الرب، ورقيباً للمسبيين (أصحاح ٢-٣)، وكان مبشراً بالتوبة والدينونة (أصحاح ١-٢٤) إلى شعب عنيد وعابد للوثن، وقدم لهم التحذيرات العديدة (٢:٣-٤:٥-١١ و١٣، ١٤:١-٣، ١٨:٢ و٢٥، ٢٠:١-٣).

واهتم بتذكرة الشعب، أنهم يعيشون حياة العبث والفساد، بعيداً عن أرضهم وبعيداً عن الهيكل (١١:١-٥) ظانين أنهم بعيدون عن العقاب (١٢:٢١-٢٨).

لقد صار حزقيال لسامعيه، الذين فقدوا كل أمل في الرجاء والخلاص، طريق رجاء وخلاص، حتي يسمعوا كلمات الرجاء بالعودة إلى الهيكل إلى الأرض المفدية (٢٤:٢١-٢٣، ٣٣: ١٠ و١٧، ٣٧:١١). وأن إسرائيل المدنسة ستصير مقدسة (٣٣:١١، أصحاح ٣٤، ٣٦:٢٥-٣١، أصحاح ٣٧، الأصحاح ٤٠-٤٨). كما صور حزقيال دينونة الشعوب الأخرى المعادية بواسطة جوج وماجوج (أصحاح ٣٨-٣٩). لكن شعوباً نجت من العقاب لتوبتها وسماعها صوت النداء بالتوبة (١٦:٥٣-٥٥، ١٧:٢٢-٢٤).

كما تميز حزقيال في سفره بالأسلوب المجازي (أصحاحات ١٥-١٧:١-٢١ و١٩ و٢٣-٢٤:١-٤) والأعمال الرمزية (٤:١-٥:٤، ١٢:١-٧، ١٧-٢٠)... إلخ، كما أن بالسفر الكثير من الرؤى، وأمثلة ذلك (١:٤-٢٨،

٢: ٩-٣: ٣، أصحاح ٨-١١، ٣٧: ١-١٠ و ٤٠-٤٨). وكان لحزقيال ملاك مفسر لكثير من الرؤى (راجع أصحاح ٤٠-٤٨) ومثال ذلك (٤٠: ٣-٤، ٤٣: ٦-٧، ٤٧: ١-٣) وامتزجت كتاباته بأسلوب الشعر والنثر أيضاً.

وتناول النبي حزقيال في سفره فكرته عن الله كمن يفتش عن خرافه الضالة (حزقيال ٣٤: ١١-١٦، قارن مت ١٨: ١٢-١٤ ولوقا ١٩: ١٠).

ويرى علماء الكتاب أن هناك تشابهاً واضحاً بين سفر حزقيال وسفر الرؤيا، وخاصة عن أورشليم الجديدة وافتقاد يهوه لأورشليم التي تعرضت للسبي، وهدم هيكلها وسقوطها في أيدي الأعداء، والتي ستصير جبلاً مرتفعاً (حز ٤٠: ٤٢ مع رؤيا ٢١: ١٠) مدينة مقدسة، خيمة الله التي يستظل فيها شعبه (٣٧: ٢٧، رؤيا ٢١: ٣) سوف يملأها الله بمجده (٤٣: ٣-٥، رؤيا ٢١: ١١، ٤٨: ١٦ و٣٠، رؤيا ٢١: ١٢-١٣) وبها نهر الحياة (٤٧: ١، رؤيا ٢٢: ١) وعلى جانبي النهر أشجار وأوراقها للشفاء (٤٧: ٧ و١٢، رؤيا ٢٢: ٢) هذه الشواهد تعبر عن الأسلوب الرمزي الواضح بين سفري حزقيال والرؤيا في العهد الجديد.

الخلفية التاريخية

يعد يوشيا آخر ملوك يهوذا العظماء، وقد ملك ما بين عامي ٦٤٠-٦٠٩ ق.م إلا أنه ضعف أمام منافسه فرعون نخو ملك مصر في مجدو ضد الكلدانيين (٢مل ٢٣: ٢٩-٣٠). ففي أيام يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات. فصعد الملك يوشيا للقاء فرعون نخو واعترض طريقه فقتله فرعون ملك مصر في مجدو (قارن ٢أخ ٣٥: ٢٠-٢٤). فأخذ شعب الأرض يهوآحاز (يوآحاز) بن يوشيا، ومسحوه وملكوه عوضاً عن أبيه. أما عن شلوم (يهوآحاز) هذا، والذي خلف والده، هكذا قال الرب عنه «الذي خرج من هذا الموضع لا يرجع إليه. بل في الموضع الذي سبوه إليه يموت. وهذه الأرض لا يراها بعد» (إرميا ٢٢: ١٠-١٢). وكان يهوآحاز بن ثلاثة وعشرين سنة حين ملك. وملك ثلاثة أشهر في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل آباؤه. أسره فرعون نخو حتى لا يملك في أورشليم. وملك فرعون نخو ملك مصر ألياقيم بن يوشيا عوضاً عن يوشيا أبيه وغيَّر اسمه إلى يهوياقيم وأخذ يهوآحاز إلى مصر ومات هناك. ودفع يهوياقيم الفضة والذهب لفرعون ملك مصر (قارن ٢مل ٢٣: ٣١-٣٥).

وفي السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا (إرميا ٤٦: ٢) لقي المصريون هزيمتهم بقيادة ملكهم فرعون نخو بواسطة نبوخذناصر في كركميش على نهر الفرات عام ٦٠٥ ق.م بذلك صار الكلدانيون سادة العالم الجديد في تلك الفترة (٢مل ٢٤: ٧). «ولم يعد ملك مصر أيضاً يخرج من أرض مصر لأن ملك بابل، أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر».

كما اضطهد يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا (٦٠٨ - ٥٩٧ ق.م) أنبياء الرب (قارن إرميا ٧: ١-١٥ و١٣ و١٦-٢٠، قارن حزقيال ٨). فقد كان قاسياً (إرميا ٢٢: ١٣-١٥، ١٧: ١٩). وثار يهوياقيم على الملك نبوخذ ناصر عام ٦٠٢ ق.م. فصار عبداً لملك بابل ثلاث سنين. ثم عاد يهوياقيم فتمرد عليه فأرسل الرب على يهوياقيم غزاة الكلدانيين، وغزاة الأراميين، وغزاة الموآبيين، وغزاة بني عمون، وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به على يد عبيده الأنبياء، حسب كلام الرب على يهوذا، لأجل خطايا منسى. حسب كل ما عمل، ولأجل الدم البريء الذي سفكه. لأنه ملأ أورشليم دماً بريئاً ولم يشأ الرب أن يغفر، لأجل غلاظة قلوبهم وقساوتهم في كل شر (قارن ٢مل ٢٤: ١-٢)، ومات يهوياقيم ملك يهوذا غير مأسوف عليه، وجاء عنه قول الرب: «لا يندبونه قائلين آه ياسيد أو آه يا جلاله. بل يُدفن دفن حمار، مسحوباً ومطروحاً، بعيداً عن أبواب أورشليم» (إرميا ٢٢: ١٩).

وبعد موت يهوياقيم تولى يهوياكين ابنه الحكم على يهوذا، مدة ثلاثة شهور، وصعد عليه نبوخذ ناصر ملك بابل

وهو في أورشليم حيث يملك. ودخلت المدينة تحت الحصار. وأخذ ملك بابل يهوياكين ملك يهوذا، ومعه أمه وعبيده ورؤساءه، وأخذ كل خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك. وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ملك إسرائيل في هيكل الرب. وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي. أخذهم ملك بابل جميعاً إلى بابل. وملك متنيا عمه عوضاً عنه، وغير اسمه إلى صدقيا (٢مل ٢٤:٨-١٧، إرميا ١١:٢٤-٣٠، حزقيال ١٩:٥-٩).

كان حزقيال بين هؤلاء المسبين وشريكاً لهم في ضيقتهم (حزقيال ١:١-٢، ٣:١٦، ٨:١، ٢٠:١، ٢٤:١، ٢٦:١، ٢٩:١ و١٧، ٣٠:٢٠، ٣١:١، ٣٢:١٧، ٣٣:٢١، ٤٠:١).

وفي السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياكين ملك يهوذا أي في عام ٥٠٦ ق.م تقريباً وفي السابع والعشرين من الشهر الثاني عشر رفع أويل مرودخ بن نبوخذنصر ملك بابل في سنة تملكه، رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن، وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه. وغير ثياب سجنه، ودعاه إلى مائدته، ليأكل خبزه معه كل أيام حياته، وله وظيفة دائمة تعطى له بأمر الملك كل أيام حياته (٢مل ٢٥:٢٧-٣٠، إرميا ٥٢:٣١-٣٤).

كان صدقيا آخر ملوك يهوذا، وقد ملك بعد يهوياكين من عام (٥٩٧-٥٨٨ ق.م) وهو الابن الثالث للملك يوشيا (٢مل ٢٤:١٧-٢٥:٧، حزقيال ١٩:١١-١٤). وكان ملكاً ضعيفاً ونقض عهده مع نبوخذ نصر وسار مع القوات الثائرة (حزقيال ١٧:١٣-١٥، إرميا ٢٧:١-١١) ومن ينقض عهداً ويفلت؟!.

وفي السنة التاسعة لملكه (للملك صدقيا) في الشهر العاشر، في عاشر الشهر، جاء نبوخذنصر ملك بابل وهو وكل جيشه على أورشليم. ونزل عليها وبنو عليها أبراجاً حولها. ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا في تاسع الشهر. واشتد الجوع في المدينة. ولم يكن خبز لشعب الأرض (٢مل ٢٥:١-٣). وهرب الملك صدقيا. لكن الكلدانيين أدركوه في برية أريحا، وقتلوا بنيه أمام عينيه وقلعوا عيني صدقيا، وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل كما أحرقوا بيت الرب وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم وبيوت العظماء. وهدمت أسوار أورشليم بواسطة جيوش الكلدانيين مع رئيس الشرطة (قارن ٢مل ٢٥:١-٢١).

ومن بين المسبيين اليهود في بابل، كان إلى جانب حزقيال، زربابل، وعزرا ونحميا، وقد أرسل لهم إرميا النبي رسالة هامة في السبي، يوصيهم فيها أن يبنوا بيوتاً ويثمروا ويكثروا، ويطلبوا سلام المدينة التي هم فيها مسبيون، ويصلوا لأجلها إلى الرب لأن بسلامها يكون لهم سلام. ويحذرهم إرميا أيضاً من الأنبياء الكذبة الذين في وسطهم بالسبي: «لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب. أنا لم أرسلهم يقول الرب» (إرميا ٢٩:١-٧).

وحزقيال كواحد من المسبيين كان لهم منذراً ومرشداً وباباً للرجاء لكل من امتثل ولم يعاند رؤى القدير، الذين رغم وجودهم في أرض غربتهم كانوا يواظبون على الصلاة وينبرون على أهمية الصوم وتقديس يوم السبت والختان وقراءة التوراة والعمل بها (٣:١٥ و٢٤، ٨:١، ١٤:١، ٢٠:١، ٣٣:٣١).

الكاتب وزمن الكتابة

تعرض سفر حزقيال، كما يرى علماء الكتاب المقدس، لكثير من النقد السلبي، وخاصة عن كاتب السفر، الأمر الذي ليس له أساس على الإطلاق، ولا يزيد عن كونه لغو كلام كما سنرى فيما بعد.

لقد حاول بعض المفكرين بذل الجهد في دراسة شخصية كاتب السفر حزقيال، وانتهى بعضهم وعلى رأسهم توري C.C. Torrey بأن الكاتب عاش في القرن الثالث ق.م. بل يُعد هذا السفر أحد أسفار الأبوكريفا كما تري مدرسة شاماي School of Shammai. وبذلك يرجع تاريخ كتابته إلى عام ٢٣٠ ق.م. وقد اعترض على هذا الرأي

جيمس سميث J.Smith بقوله: إن الكاتب عاش زمن الملك منسي وجاء من شمال إسرائيل.

ويرى البعض الآخر ومنهم أويسترلي وربنسون Oesterley and Robinson أن الكاتب عاش في بابل وكرز بعض الوقت في فلسطين.

ودعى بعض المحافظين حزقيال النبي كلفن العهد القديم، وأب اليهودية ونبي المسئولية الفردية (بمعنى أن كل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن نفسه).

ويرى أ. بيرسون Anton Person أن من يدرس سفر حزقيال بجدية، يستطيع أن يأخذ تعاليم نافعة وبانية، ويدرك أهمية السفر العظمى عن الكاتب الكاهن والنبي والراعي. ومن هذه النصوص حسب ترتيب أصحاحاتها (أصحاح ١-٢، ٣:١٦-٢١، قارن ٣١:١-٩، أصحاح ٨-٩، ١١:١٩-٢٠، قارن ١٨:٣١، ٢٤:٧، ٣١:٣١، ٣٢:٣٩، ٣٦:٢٦، أصحاح ١٤:١٤، أصحاح ١٥-١٧:٢٢-٢٤، أصحاح ١٨، قارن ٣٣، أصحاح ٢١:٨-٢٧، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢:١٧-٢٢، ٣٤، ٣٦:١٦-٣٨، أصحاح ٣٧-٣٩، أصحاح ٤٧).

أما عن نصوص الرجاء (المسيانية) فهي كما يلي:

(١١:١٦-٢٠) الرب والبيت «الهيكل».

(١٧:٢٢-٢٤) الأرز العالي.

(٢١:٢٦-٢٧) الملك الأمين العادل.

(٣٤:١١-٣١) الراعي الأمين.

(٣٦:٢٥-٣٥) التطهير التام.

(٣٧:١-١٤) القيامة العظمى.

(٣٧:٢١-٢٨) الاتحاد الكامل.

(٤٧:١-١٢) النبع الخارج من البيت (الهيكل) معطي الحياة. والمياه إلى الكعبين ثم إلى الركبتين وإلى الحقوين. «ثم قاس ألفاً وإذا بنهر لم أستطع عبوره، لأن المياه طمت، مياه سباحة نهر لا يعبر».

كما وردت بالسفر تعاليم هامة وأساسية بالإضافة لما سبق عن المسئولية الفردية (١٨:٢، ٥-٩، ١٩-٢٠، قارن إرميا ٣١:٢٩-٣٠)، والوعد بالعودة والقضاء على الشعوب الأجنبية (٢٥-٣٢، ٣٩). وامتلاك الأرض الخصيبة (٣٦:٨-٩، ٢٩-٣٠، ٣٤-٣٥) وعودة الرب للشعب المتجدد (٣٧:٢٦-٢٧، ٤٣:١-١٢).

نخلص مما سبق أن الدارس المدقق والمتعمق في السفر، يلمس (كما يرى العلماء المحافظون) أن الكاتب هو حزقيال النبي الذي يحتل جزءاً كبيراً من السفر. كما أن صيغة المتكلم المفرد تملأ السفر، كما أن تشابه الفكر والترتيب تعطي انطباعاً جلياً بأن السفر بجملته هو من نتاج شخص وعقل واحد بمفرده والكثير من النبوات وردت عن مكانها وتاريخها بالتحديد.

لذلك يمكن القول بثقة بأن حزقيال النبي هو كاتب كل السفر كما يرى كوك Cooke وإدوارد يونج E. Young أما عن هـ.رولي H.Rowley فيدافع عن جوهر وحدة السفر ويشير إلى أن جميع المحاولات التي تنفي عن حزقيال كتابة السفر هي محاولات غير مجدية وليست مقنعة في أساسها[1].

والتاريخ المحدد لكتابة سفر حزقيال هو السنة السابعة والعشرين للملك يهوياكين أي عام ٥٧١ ق.م تقريباً

(1) H.H. Rowley, The Book of Ezekiel in Modern Study, 1953.



(١٧:٢٩). لذلك يمكن تحديد زمن نشاط النبي، ما بين عامي ٥٩٣-٥٧١ تقريباً. ويمكن تحديد كتابة السفر وجمعه في صورته النهائية بعد عام ٥٧١ ق.م بقليل.

أما عن السنة الثلاثين المشار عنها في العدد الأول من السفر، فيري بعض العلماء أنها السنة الثلاثين من عمر النبي حزقيال وهي التي تقابل السنة الخامسة من سبي يهوياكين (١:٢).

وبينما يصعب تأريخ الإعلانات الواردة في السفر على أساس ما ورد بالسفر نفسه (تقويم ذلك الوقت)، إلا أن هناك محاولات قام بها ر.أ. باركر ورفيقه دُوبرشتين R.A. Parker ، W.H.Dubberstein لتأريخ الإعلانات ويقترح بأن رؤى حزقيال النبي وقعت كما يلي:[1]

(٢:١) ١ يوليو ٥٩٢ ق.م، (١:٨) ٧ سبتمبر ٥٩١ ق.م، (١:٢٠) ١سبتمبر ٥٩٠ ق.م، (١:٢٤) ١٥ يناير ٥٨٨ ق.م، (١:٢٩) ٦ يناير ٥٨٧ ق.م، (١٧:٢٩) ١٦ أبريل ٥٧٠ ق.م، (٢٠:٣٠) ١٩ أبريل ٥٨٦ ق.م، (١:٣١) ١١ يونيه ٥٨٦ ق.م (١:٣٢) ٣مارس ٥٨٥ ق.م، (١٧:٣٢) ١٦ أبريل ٥٨٥ ق.م، (٢١:٣٣) ٨ يناير ٥٨٥ ق.م، (١:٤٠) ١٧ أبريل ٥٧٢ ق.م.

دعوة حزقيال ليكون آية للشعب

إن الحالة الاجتماعية ليهود السبي أيام النبي حزقيال، والتي عاشها النبي بينهم لبضعة سنين قبل دعوته، لم تكن بالدرجة السيئة، فالكثير من اليهود الذين حملوا إلى السبي عام ٥٩٧ ق.م، كانوا من المهرة والصناع الحاذقين ومتعددي المواهب، وكانت بابل أرض سبيهم في مسيس الحاجة إليهم، وكان لحزقيال بيت خاص في السبي (٢٤:٣)، يأتي إليه قادة الشعب للزيارة من وقت لآخر.

كما كان لليهود حرية ممارسة عباداتهم الدينية والمعيشة معاً في المدن البابلية، وكان لهم أن يعملوا على تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وقد عثر علماء الآثار من سنين مضت على لوحات أثرية، خاصة بحكم نبوخذناصر في مناطق الردم ببابل القديمة. جاء في هذه اللوحات معلومات عن المؤن الغذائية التي كان يحصل عليها المسبيون، من طعام (زيت وشعير) مقابل عملهم الماهر، ومن بينهم (يهوياكين) ملك يهوذا وخمس أفراد ملكيين ورجال آخرون من يهوذا[2]. وقد جاء في اللوحات التي عثر عليها في منطقة نبور Nippor القديمة جنوب بابل، ما يؤكد أن يهود السبي عاشوا في ازدهار اقتصادي وتمتعوا بحياة ميسرة، واستطاع الكثيرون منهم أن يساهموا مادياً في إعادة بناء الهيكل، عند بدء عودتهم إلى أرض يهوذا عام ٥٣٨ ق.م (قارن عزرا ٢:٦٦-٦٩).

لذلك كم كان سهلاً على المسبين أن يتلقوا رسالة النبي إرميا بقبول واقتناع. وكان يوصيهم فيها أن يبنوا بيوتاً ويزرعوا حدائق وأن يقيموا أسرا ويظهروا ولاءهم لملك بابل وحكامه، ويعملوا جادين على خير المدينة التي يقيمون فيها، ويُصلوا من أجل سلامها حتى يكون لهم سلام (إرميا ٢٩:٤-٧، حزقيال ٢٥:٣، ١:٨، ١:١٤، ٣٣:٣٠-٣٢، عزرا ٣٩:٢، ١٧:٨). فكانت حياتهم هانئة ومريحة رغم أن الكثيرين منهم كانوا تواقين للعودة إلى وطنهم أرض يهوذا.

وجاءت دعوة حزقيال ليكون نبياً في رؤيا غير عادية، في السنة الخامسة من سبي يهوياكين (١:١)، في ذلك اليوم يقول النبي «كانت السموات مفتوحة. ورأيت رؤى الله وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت». إن هذا الاختبار المؤثر والعظيم جعله يدرك، أن يد الرب كانت عليه هناك في السبي. وكان يبلغ من العمر ثلاثين عاماً. وإلى هذه الكلمات ربما يرجع سبب منع معلمي اليهود قراءة الأصحاح الأول في المجمع. وأن من يقل عمره عن

(1) R.K.Harrison, Introduction to the O.T, P.845.
R.A.Parker and W.H.Duberstein, Babylonian Chronology 626 B.C-A.D.45 PP, 25-26
(2) ANET, P.358, (CF.PP.221-223)



ثلاثين سنة لا يُصرح له بقراءة السفر بمفرده كما يذكر أحد العلماء.

وتشبه دعوة حزقيال دعوة إشعياء الذي رأى الرب جالساً على العرش السماوي، في مجد أسنى، وجلال أسمى.

لقد رأى حزقيال الرب متوجاً في قدس الأقداس في بيت الرب (الهيكل)، والوصف الوارد في الأصحاح الأول يستند على الخلفية الكهنوتية التي كان حزقيال ملماً بها من تجربته ككاهن في هيكل الرب، وتجربته الدينية البابلية التي كان لها أثرها غير المباشر في اللاشعور عنده في السبي كما يري العلماء. فقد رأى مركبة الرب السماوية تقترب إليه من الشمال في سحابة عاصفة وأنوار ساطعة (قارن مزمور ٢٩).

هذه المركبة محمولة بأربعة مخلوقات (الكروبيم) (١٠:١٨-٢٢) بنصف حيوان ونصف إنسان إنها مثل التماثيل المعروفة في الفن البابلي، وكل يتحرك في وفاق مع الآخر، لأنهم جميعاً مقودون بالروح الإلهي. وعلى الجانبين بكرة داخل بكرة (عدد ١٦) موضوعة ومرتبطة بنظام دقيق، حتى تتمكن المركبة من الحركة بسهولة في أي اتجاه كما يوجهها الروح. وفوق المخلوقات وعلى رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل (قارن خروج ٢٤:١٠) محمولة على أجنحة الكروبيم. وصوتها كصوت خرير مياه كثيرة (عدد ٢٤)، وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق (عدد ٢٦)، هذا منظر شبه مجد الرب، الإله القدوس الذي عبدته إسرائيل في هيكل الرب. في المدينة أورشليم. وها هو يأتي إلى الشعب في السبي (قارن ١:٢٧-٢٨).

ولما رأيته يقول حزقيال، خررت على وجهي مغشياً عليّ. وسمعت صوت متكلم معي قائلاً لي يا ابن آدم (الإنسان الفاني الترابي، تعبير ورد ٩٤ مرة في السفر، بمعنى المحدود وعديم القدرة أمام الإله اللامتناهي في القدرة والمجد). قم على قدميك فأتكلم معك، فدخل فيّ روح لما تكلم معي، وأقامني على قدمي، وقال لي يا ابن آدم، أنا مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أمة متمردة. هم وآباؤهم تمردوا وعصوا عليّ. قساة الوجوه وصلاب القلوب.. لا تخف منهم ومن كلامهم، ولا تخف من وجوههم، لا ترتعب لأنهم قريس وسلاء لديك. وتتكلم معهم بكلامي قائلاً: «هكذا قال الرب... إن سمعوا أو امتنعوا...» (٢:١-٧). فقط عليه أن يتحدث إلى شعب ثائر ضد سيادة الله من البدء. وكان عليه كرقيب أن يقدم لهم التحذير، باقتراب الدينونة. وكانت أمامهم الفرصة محدودة وقصيرة حتى يستجيبوا (٣٣:١-٩).

وسواء استمع الشعب أو امتنع عن الاستماع فعلي الأقل سيدركون «أن نبياً كان بينهم» (٢:٥).

وفي رؤيا النبي، وإذا بيد ممدودة إليه. وإذا بدرج سفر فيه، مكتوب فيها مراث ونحيب. وويل من الداخل والخارج (وعليه أن يقدم درج السفر هذا للشعب). وفي هذه الرؤيا قدم الرب لحزقيال هذا الدرج، ليأكله ويهضمه. وعندما أكله وجده النبي حلواً في فمه كالعسل (٢:٩-١٠، ٣:١-٣)، بمعنى أن حزقيال كان مقتنعاً بما جاء بدرج السفر كما يرى العالم اللاهوتي جيرهارد فون راد Gerhard Von Rad الذي قال إن هناك توافقاً بين النبي ورسالته (قارن أصحاح ٢-٣). وذلك على خلاف ما جاء عن إرميا ونصيبه غير المسر الذي يُشبّه فيه بالمدينة الحصينة ضد الشعب بجملته (إرميا ١:١٧-١٩) ودعوة إشعياء غير الواعدة (إش ٦:٩-٢٧).

وهنا انتابت حزقيال حيرة، من جراء ما رآه عن مجد الرب السماوي، وكان مرتعداً وجلس بين المسبيين متحيراً سبعة أيام (٣:١٥). وعند تمام السبعة أيام زالت حيرته بإعلان كلمة الرب له وبإعطائه المسئولية الفردية (قارن ٣:١٦-٢٧).

حزقيال آية لبيت إسرائيل

قصد بالتعبير آية مثالاً أو نموذجاً كما قُصد بالكلمة ذاتها دهشاً وعجباً (قارن ٤:٤، ١٢:٦ و١١، ٢٤:٢٤

و٢٧) وكان كلام الرب إلى حزقيال قائلاً: «خذ لنفسك لبنة وضعها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم» (٤:١). وهذه اللبنة من فخار كالتي عُثر عليها في بابل، في الحفريات. طولها قدمان وعرضها قدم واحد، وبها بعض النقوش المسمارية كالبابلية والأشورية، وكان على حزقيال أن يرسم عليها حصاراً. وقد ارتفع عليها برج، حتى يراقب المحاصرون الشعب المحاصر (قارن إرميا ٥٢:٤). ويقيم على المدينة أيضاً مترسة، وجيوشاً ومجانق حولها. حتى يجد الكلدانيون حماهم فيها. أما عن الصاج الحديد الذي كان على النبي أن يقيمه كفاصل بينه وبين أورشليم (٣:٤). فيمثل الحائط الذي أقامه الرب بينه وبين المدينة كما يرى العلماء. بمعنى أن حزقيال النبي يُجسّد (بأمر الرب) صورة ملموسة للحصار المزمع أن يقع على المدينة أورشليم. وهذه الصورة تذكرنا بما جاء في (إرميا ٢:٥) «وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبذراع شديدة وبغضب وحمو غيظ عظيم».

أما قول الرب: ثبت وجهك عليها (أي على المدينة) (٣:٤ب) فيعني به حتمية إتمام ما تقرر «لأن وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم» (مزمور ١٦:٣٤).

لقد كان المسبيون في بابل في حالة أفضل كثيراً، من الذين بقوا من أورشليم ووقع عليهم الحصار (قارن ٢أخ ١٢:٣٦-١٧).

وصار كلام الرب إلى حزقيال «اتكيء أنت على جنبك اليسار وضع عليه إثم بيت إسرائيل» (٤:٤). «وثلاث مئة يوم وتسعين يوماً فتحمل إثم بيت إسرائيل» (عدد ٥). وعند تمامها كان على النبي أن يتكيء على جنبه اليمين أيضاً فيحمل إثم بيت يهوذا أربعين يوماً (عدد ٦) كل يوم عوضاً عن السنة.

يرى هـ.ماي H.May أن الأربعين يوماً عن السنة تشير إلى سبي يهوذا من عام ٥٩٦ ق.م إلى وقت العودة من السبي عام ٥٣٨ق.م أما عن الثلاث مئة يوماً عن السنة والخاصة بإسرائيل فهذا غير واضح وربما تشير إلى الزمن من بداية حكم يربعام بن نباط إلى زمن العودة من السبي.

أما عن الترجمة السبعينية فجاء بها أن الفترة هي مئة وتسعين سنة. إشارة إلى بداية سبي إسرائيل بواسطة تغلث فلاسر بعد الحرب السورية الأفرايمية عام ٧٣٤ ق.م (٢مل ٢١:١٥). وقال آخرون من المفكرين النقديين ربما كانت هذه الأرقام أو الأعداد إضافة متأخرة، ربما كانت ثلاثة مئة وخمسين يوماً مضافاً إليها الأربعين يوماً الخاصة بيهوذا فتصبح ثلاث مئة وتسعين يوماً (قارن ٩:٤). وربما كانت هذه إشارة بدورها، عند بعض الشراح، إلى الوحدة والاتحاد بين إسرائيل ويهوذا تحت رئاسة ملك مسياني.

وفي العبرية الجنب اليسار هو اتجاه الشمال، واليمين هو الجنوب، والإنسان متجه نحو الشرق. والمعروف إن إسرائيل تقع في الشمال وعاصمتها السامرة ويهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم.

ويرى بعض العلماء أيضاً أن الرقم ثلاث مئة وتسعين يوماً عن السنة عن إسرائيل وأربعين يوماً عن السنة عن يهوذا مجموعها أربعمائة وثلاثين هي فترة معروفة بل ومشهورة في تاريخ شعب الرب، وقت أن كان غريباً ونزيلاً في أرض مصر (خر ٤٠:١٢ و٤١، غل ١٧:٣). وفي موضع آخر ينذرهم الرب بأنه سيعيدهم إلى مصر ثانية. الأمر الذي لا يقصد حرفياً، بل يُشير إلى العبودية المشابهة في إيلامها لعبودية مصر (قارن تث ٦٨:٢٨، هوشع ٣:٩، حزقيال ٣٥:٢٠-٣٨).

لكن الطريق مفتوح أمام الشعب للعودة إلى رب الحياة والنجاة

ويرى أحد العلماء أن الرقم أو العدد ثلاث مئة وتسعين. إشارة إلى فترة خطية إسرائيل حرفياً من وقت إقامة عجلي يربعام بن نباط (١مل ٢٠:١٢-٣٣) من عام ٩٧٥-٥٨٥ ق.م تقريباً أي إلى سنة السبي البابلي. أما عن

الرقم أربعين يوماً عن السنة الخاصة بيهوذا (٤:٦)، فكما يرى أحد علماء الكتاب، تُعد إشارة إلى حكم منسى والتي فعل خلالها الشر في عيني الرب وعبر ابنه في النار، واستخدم جاناً وتوابع وأكثر في عمل الشر لإغاظة الرب... (٢مل ٢١:٢-٧ و١٠ - ١٦، ٢٣:٢٦-٢٧).

ورغم إصلاحات الملك يوشيا فقد وقع عليهم العقاب. لأن الإصلاحات لم تكن نابعة من نفوسهم، بل كانت امتثالاً لأوامر ملكية. وعلى الرغم من التطهير الخارجي الظاهري إلا أن قلوبهم لم تكن مستقيمة أمام الرب إلههم، وصارت إصلاحاتهم بلا جدوى في ضوء النصوص العديدة (٢مل ٢١:١٢-١٦، ٢مل ١٨:١١-١٣، إرميا ١٥:٤).

كان على حزقيال أن يأكل طعامه بعيار معين، إشارة إلى الحصار القادم (٤:٩-١١) وأن يقص شعره (٥:١-١٢) والذي كان يشير إلى الحزن والألم العميق (قارن إش ١٥:٢، إرميا ٤٧:٥، ٤٨:٣٧، عاموس ٨:١٠، ميخا ١:١٦). كما أكل خبزه وشرب ماءه برعدة، إشارة إلى الخوف الرهيب مما سيجتازه الشعب من آلام وضيق شديدين (١٢:١٧-٢٠). وعندما ماتت زوجته الوفية، شهوة عينيه، مُنع حزقيال من البكاء وذرف دموعه عليها كعلامة، أو آية لشعب إسرائيل ويهوذا. إن سقوط أورشليم وتدميرها مع حرق الهيكل، سيملأهم حزناً أعمق من الدموع، وقد سأله الشعب قائلين «ألا تخبرنا مالنا وهذه التي أنت صانعها فأجابهم.. وهكذا قال الرب، هأنذا منجس مقدسي فخر عزكم، شهوة أعينكم ولذة نفوسكم. وأبناؤكم وبناتكم الذين خلفتم، يسقطون بالسيف. وتفعلون كما فعلت... لا تنوحون ولا تبكون... ويكون حزقيال لكم آية مثل كل ما صنع تصنعون...» (٢٤:١٥-٢٧).

لقد أجريت هذه الآيات أمام الذين لهم أعين لترى ولم تر، وآذان لتسمع ولم تسمع (١٢:٢) لأنهم شعب متمرد. وكان لهم حزقيال، كمن يحسن الغناء بصوت جميل على آلة جيدة (٣٣:٣٠-٣٣) «يسمعون كلامك بقول الرب ولا يعملون به لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم».

أهولة وأهوليبة

يُرمز إلى إسرائيل بأهولة ويهوذا بأهوليبة، أختان تنجستا بكل ألوان الشر والفساد (الأصحاح ٢٣)، وستجني الأختان، ثمر أفعالهما دينونة عادلة وازدراء الشعوب.

إن تاريخ كسر العهد بواسطة إسرائيل (أهولة) ويهوذا (أهوليبة)، يمتد إلى وقت صباهما. إن تمرد (شعب إسرائيل ويهوذا) يمتد إلى خطيتهم الأصلية، فلم تكن إسرائيل بلا خطية، بل يمتد تعديهم ليس إلى التيهان في البرية فقط. بل أيضاً إلى وقت تغربهم في مصر أرض العبودية (٢٠:٥-٦). لقد تنجس تاريخ إسرائيل منذ البدء، لأن الشعب استجاب للعبادة الوثنية بل وتمسك بأصنام مصر. لكن لأجل اسمه ومجده وحتى لا يتنجس اسمه القدوس أمام أعين جميع الأمم، أراد الرب شعباً مقدساً، أميناً طاهراً من كل نجاسة الأوثان. وذلك هو أسلوب حزقيال في كل السفر، ذلك الأسلوب الذي بدا واضحاً في الرؤيا الافتتاحية، حتى يدرك الجميع الفرق الشاسع بين الإله القدوس اسمه، وبين الإنسان الترابي الفاسد.

ويقدم حزقيال النبي تلخيصاً شاملاً للتاريخ المقدس من خروج الشعب من مصر إلى الاستيطان في كنعان. وهذا التلخيص يتمثل في الحديث المجازي عن مدينتين رئيسيتين أورشليم والسامرة (في الأصحاحين ١٦، ٢٣) ويُصور تاريخ إسرائيل بامرأة زانية، هذا التشبيه الذي طالما تحدث عنه سفر هوشع والنبي إرميا، ويردد حزقيال قوله عن أورشليم «أبوك أموري وأمك حثية» (١٦:٣ قارن عدد ٤٥). ويتحدث النبي هنا لاهوتياً وليس تاريخياً. إنها ابنة فاسدة وفاسقة كأمها. «ومثل الأم بنتها» (١٦:٤٤)، غير أن الرب أشفق على هذا الطفل غير الشريعي الذي رفضه الآخرون، رباها واعتنى بها وجمَّلها. إنها النعمة الإلهية. لكن الابنة وثقت في جمالها ونسيت أنها مدينة بحياتها وجمالها لله. فقد كانت شهوتها متوهجة في داخلها مثل أمها الحثية. وكان الرجال كما هي العادة يدفعون أجرة

للزانية. لكن هذه المرأة الزانية السليطة كانت تُعْزي محبيها بعطاياها. لقد سلكت أكثر سوءاً من السامرة (مملكة الشمال). وتمثل ذلك في التشبيه أو الرمز المجازي أهولة (السامرة) وأهوليبة (أورشليم) (الأصحاح ٢٣) وستجني الواحدة منهما شر فعلها دينونة عادلة وازدراء الشعوب الأخرى. لأنه هكذا قال السيد الرب إني أفعل بك كما فعلت إذ ازدريت بالقسم لنكث العهد (١٦: ٥٩)، ومن هنا يتجه فكر النبي حزقيال من العهد الموسوي إلى عهد النعمة مثل عهد داود العهد الأبوي.

عهد النعمة

«ولكني أذكر عهدي معك في أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً» (١٦: ٦٠). «فتتذكرين طرقك وتخجلين... وأنا أقيم عهدي معك فتعلمين أني أنا الرب. لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاكِ بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦: ٦١-٦٣).

وقبل أن تختبر إسرائيل غفران الله. وتدخل في علاقة جديدة مع الرب منقذها من كل ضيقة وفي عهد أبدي كان على الشعب أن يختبر العقاب الإلهي، الدينونة العادلة (١٦: ٥٩). وقد وضح ذلك في رؤيا حزقيال (أصحاحات ٨-١١) «فتعلمون أني أنا الرب»، ولابد أن تظهر سيادة الله في أعمال الدينونة، ضد شعب متمرد وعنيد وصلب الرقبة وقاسي القلب كما حدث في القديم» (٢٠: ٣٣-٣٨).

وكم كان قاسياً وأليماً أن يرى النبي حزقيال مجد الرب وقد زال عن بيت الرب (الهيكل المقدس). بعد أن صار منجساً: «وخرج مجد الرب... ووقف على الكروبيم فرفعت الكروبيم أجنحتها، وصعدت عن الأرض» (١٠: ١٨-٢٢). لقد كان إثم الشعب عظيماً جداً، حتى وإن كان فيها الرجال الثلاثة الأبرار نوح ودانيال وأيوب. «فإنهم إنما يُخلصون أنفسهم ببرهم يقول السيد الرب» (١٤: ١٢-٢٠) ولا تنجو المدينة من الدمار.

وجاء أنبياء العامة من الشعب من تلقاء ذواتهم برسالتهم الخاصة وأضلوا الشعب بقولهم سلام حيث لا سلام، القائلون «وحي الرب والرب لم يرسلهم» (١٣: ١-١٠). وقد وضحت كل أفعالهم الرجسة في الأصحاح الثاني والعشرين، من انحراف العبادة وكسر السبت، وجرائم أخلاقية، من سفك دماء، وزنى واغتصاب، وعدم إكرام الوالدين، والتعدي على حقوق اليتيم والأرملة والغريب «وطلبت من بينهم رجلاً يبني جداراً ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخربها فلم أجد» (٢٢: ٣٠). «فسكبت سخطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي، جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب» (عدد ٣١).

لكن الرب رحيم في ذات الوقت. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسر بالرأفة. فيتكلم الرب عن فم النبي حزقيال قائلاً: «لكني أذكر عهدي معك في أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً... وأنا أقيم عهدي معك فتعلمين أني أنا الرب، لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاكِ بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦: ٦٠-٦٣).

ويشبه أحدهم هذا العهد، عهد النعمة، ببزوغ الشمس من جنبات السحب القاتمة والظلمة الحالكة. فرغم تعديات إسرائيل ونسيانها لله (عددي ٢٢ و٤٣) لا زال الرب يذكرها. ويفديها دائماً بالنعمة «فتتذكرين طرقك وتخجلين» (٦١أ). ويشير المرنم إلى ذلك قائلاً «مرات كثيرة أنقذهم أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم، فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم (رحمهم) حسب كثرة رحمته» (مزمور ١٠٦: ٤٣-٤٥).

وضح هدف الرب وقصده من رحمته هذه لهم في كلماته للنبي حزقيال: حتى تتذكر إسرائيل ولا تفتح فاها بعد بسبب خزيها «حين أغفر لكِ كل ما فعلت يقول السيد الرب» (١٦: ٦٣).

إن هذا العهد الأبدي (عهد النعمة)، مبني أساساً على العهد الذي قطعه الرب مع إبراهيم قديماً. لقد أحاطها الرب بنعمته رغم تعديها المتكرر، حتى تكون بركة لأمم وشعوب كثيرة لتأتي بهذه الشعوب إلى الرب الإله خالق السموات والأرض (٣٧:٢٦، ٢صم ٥:٢٣، إش ٥٥:٣-٥) وبروح أبدي يقيم عهده (قارن إرميا ٣١:٣١-٣٧، ٣٢:٤٠-٤١، ٥٠:٤-٥، عب ٨:٨-١٣)، وليس ذلك عن استحقاق بل نتيجة محبة غنية وعطف شديد (٢٠:٤٣-٤٤)، «لأن هكذا قال السيد الرب، ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس».

هذه العبارة التي تكررت كثيراً «لا من أجلكم أنا صانع» (قارن أيضاً عددي ٢٢ و٣٢ من أصحاح ١٦). «فتتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم، من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم...» (حزقيال ٣٦:٢٢-٣٢). لا من أجلكم أنا صانع يقول السيد الرب فليكن معلوماً عندكم. بل لأجل اسمي القدوس فتعلم الأمم الذين حولكم أني أنا الرب بنيت المنهدمة وغرست المقفرة. «أنا الرب تكلمت وسأفعل» (العدد ٣٦).

فتأتي أمم كثيرة وتعرف الرب وتلتصق به. تلك رسالة إسرائيل الأساسية ومهمتها التي لأجلها اختارها الرب. وليس لفضل فيها بل هي نعمة الله ومحبته (قارن أيضاً إش ٢:٢-٣، ٤٢:٦، ٤٣:١٠ و١٣، ٥٤:١٠ و٥ و١٠). إنه الإله القديم يهوه اسمه الذي أعلن ذاته لموسى قائلاً «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور». لم ولن يتغير (خروج ٣:١٤-١٥، تث ٣٣:٢٧). لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا (ملاخي ٣:٦). وقد أخفقت إسرائيل في أداء مهمتها وتحقيق إرساليتها والتي اختيرت لأجلها فكان لابد أن يأتي السيد المسيح الذي تجسدت فيه المحبة والنعمة بكل الغنى والفيض. ولا شيء يذيب بل يُصهر القلب المتحجر، أكثر من المحبة الغافرة النابعة من النعمة الإلهية بعهده الأبدي. وقد تجلى ذلك في حياة رب المجد الابن الحبيب (قارن لوقا ٧:٤٧)، في كلماته «قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً»، بمعنى أن ما فعلته المرأة الخاطئة مع المسيح بسكبها قارورة الطيب وغسل قدميه بدموعها وبالطيب، ومسحهما بشعر رأسها وتقبيل قدميه، لهو برهان واضح على غفران خطاياها وليس سبباً أو عربوناً للغفران. ويؤكد أحد العلماء هذه الحقيقة من كلمات الرب نفسه في الشطر الثاني من (العدد ٤٧ب) الذي يُغفر له قليل يُحب قليلاً (قارن الأعداد ٤١-٤٣).

كل الأنفس هي لي

ينبر حزقيال النبي على حقيقة مهمة جداً وهي المسئولية الفردية (١٨:١-٤، ٢١-٢٥، ٢٩-٣٣، قارن ٣٣:١٧-٢٠، إرميا ٣١:٢٩).

«ها كل النفوس هي لي يقول الرب، نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي، النفس التي تخطىء هي تموت» (١٨:٤). «الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن» (العدد ٢٠).

تلك هي مبادئ القضاء الإلهي ودينونته العادلة حسب شريعته التي أعلنها لموسى قديماً (تث ٢٤:١٦، قارن أيضاً ٢مل ١٤:٦)، أما عن الكلمات الواردة في (خروج ٢٠:٥) بأن الرب مفتقد إثم الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي الرب، أي الأبناء المشاركين لآبائهم في شرورهم، الذين قال عنهم الرب في العهد الجديد. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم» (مت ٢٣:٣٢-٣٣).

«وإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياة يحيا. لا يموت لأن الرب يسر برجوع الشرير عن طرقه فيحيا» (٢١-٢٣، قارن ٢بط ٣:٩). «أما إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً وفعل ما يفعله الشرير فكل بره الذي عمله لا يذكر. في خيانته التي خانها وفي خطيته التي أخطأ بها يموت» (عدد ٢٤ من الأصحاح ١٨) في خطيته يموت ليس لأن الرب لم يرد خلاصه (قارن يوحنا ٥:٤٠). وقد أشار الرسول بطرس

في العهد الجديد عن هذه الحقيقة بالقول: «لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة» (٢بط ٢:٢١-٢٢).

«لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل» (٢بط ٢:٢٠).

لذلك يقول السيد الرب «توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة» (١٨:٣٠). والرجوع إلى الرب كما يرى المفسرون علامة ظاهرية لتوبة داخلية ذهنية صادقة. لأن الرجاء الوحيد لكل شرير هو التوبة من القلب، والرجوع إلى الرب وعمل ما هو مسر قدامه (قارن أم ١:٢٤-٢٥، ٢٨-٣١، أيضاً سفر الرؤيا ٢:٥).

«اعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديداً. فلماذا تموتون» (١٨:٣١). ويرى أحد العلماء أن هذه الكلمات تساعد الإنسان على إدراك طبيعته وضعفه الشديد، وعجزه عن تحقيق حالة القلب الجديد والروح الجديد لذاته. لأن الرب وحده هو الذي يستطيع ذلك، وليس لإنسان أن يمنح القلب الجديد والروح الجديدة (١١:١٩، ٣٦:٢٦-٢٧، قارن مزمور ٥١:١٠-١١). وفي هذا يرى كلفن أن قوتنا هي الضعف بعينه لكنها كافية لعمل ما يُطلب منا إذا كان الرب عوننا، بمعنى أن قوة الله في الضعف تكمل.

«لأني لا أسر بموت الشرير فارجعوا واحيوا يقول السيد الرب» (١٨:٢٣ و٣٢). بل مسرة الرب برجوع الشرير عن شره فيحيا. لأنه ولو أحزن الرب فإنه يرحمه حسب كثرة مراحمه لأنه لا يذل من قلبه، ولا يحزن بني الإنسان (مراثي ٣:٣٢-٣٣). وقد صاغ الرسول بطرس هذه الكلمات قائلاً: «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣:٩). ومن طبيعة الإله جل جلاله هي التأني لأنه بطيء الغضب، وغضب الله هو عمله الغريب كما يذكر إشعياء النبي (٢٨:٢١).

يقيم الرب حياة من الموت

وكانت كلمة الرب إلى حزقيال: تنبأ وقل لهم «هكذا قال السيد الرب، هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل» (٣٧:١٢) «فتعلمون إني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي» (العدد ١٣).

إنها رسالة رجاء بعد الدينونة والعقاب (٣٣:١-١١) بداية جديدة وانبثاق فجر جديد تمثل بوضوح كامل في الرؤيا المبهجة للنبي عن قيامة العظام اليابسة (الأصحاح ٣٧).

«أخرجني روح الرب» يقول حزقيال «وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً» . إنها ذات المكان الذي جاء عنه في (٣:٢٢-٢٤) التي كان فيها على النبي أن يتلقى إعلان الدينونة والعقاب. لكن هذه المرة يتلقى إعلان الرجاء بقيامتهم من الأموات. إصعادهم من القبور، أي من أرض السبي، وهذه الرؤيا كما يرى علماء الكتاب لا تتحدث عن قيامة الأموات بمعنى أن الحياة عادت إليهم ثانية على الأرض (١مل ١٧:١٩-٢١، ٢مل ٤:١٨-٣٧، ١٣:٢٠-٢١)، ولا تشير إلى القيامة في الحياة الأبدية (إش ٢٦:١٩، دانيال ١٢:١-٣)، بل إلى قيامة إسرائيل من السبي والعودة إلى أرض الآباء أرض يهوذا وأورشليم حيث هيكل الرب (٣٧:١٢). آتي بكم إلى أرض إسرائيل وأجعلكم في أرضكم (العدد ١٤).

وصار أمر الرب إلى حزقيال النبي: «قل لها أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب. هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً، وأكسيكم لحماً، وأبسط عليكم جلداً. وأجعل فيكم روحاً فتحيون. وتعلمون أني أنا

الرب» (١-٦). كيف لا وهو الخالق (إشعياء ٢٦:١٩، مزمور ١٠٤: ٣٠).

وعندما نادى حزقيال على العظام اليابسة كما أمره السيد الرب، تقاربت العظام، بعد أن كانت متناثرة ومختلطة، كل عظم إلى عظمة. وإذا بالعصب واللحم كساها وبُسط الجلد عليها من فوق (٧-٨)، ولكن ليس فيها روح، فقال له الرب تنبأ يا ابن آدم، بمعنى أيها الإنسان الترابي. وقل للروح، هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى. الروح الذي يُحول الجسد المائت إلى جسد حي. إنه روح الحياة روح الرب (١٤:٣٧).

والرياح الأربع كما قال بعض العلماء، (العدد ٩) تشير إلى أركان الأرض الأربع (٢:٤٢، دانيال ٨:٨، ١١:٤)، وربما تشير أيضاً إلى أرواح السماء الأربع (قارن إرميا ٤٩: ٣٦، زك ٦:٢، ٦: ٥)، وأن الشعب سيجتمع من أركان الأرض الأربعة (إش ٤٣:٥-٦، إر ٣١:٨)، وحتى وإن كانوا مشتتين في اتجاه الريح الأربعة (٥:١٠، ١٢:١٤، ١٥، ١٧:٢١، قارن رؤيا ٧:١).

إن هذا الأصحاح (٣٧) يتحدث بأسلوب غير مباشر عن قيامة الأموات (قارن دانيال ١٢:٢، هوشع ٦:٢، ١٣:١٤) وبأسلوب مباشر عن القيامة بمعنى العودة من أرض السبي إلى أرض الآباء، أرض يهوذا وأورشليم (قارن إش ٢٥:٨، ٢٦:١٩).

وقال السيد الرب لحزقيال النبي هذه العظام هي كل بيت إسرائيل.

وها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا»

قل لهم هكذا قال السيد الرب «هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل» (١١:١٢). ويتحدث الرب هنا كاشفاً بنوره الساطع الوهاج عن أحوال الشعب وما وصل إليه من ظلمات السبي «ها هم يقولون يبست عظامنا» (مزمور ١٤١:٧). «هلك رجاؤنا» (إش ٤٩:١٤). تركني الرب وسيدي نسيني، ولا رجاء. رأوا أنفسهم مثل أغصان قطعت من أصل الشجر وصارت يابسة. وكيف تخضر ثانية وتعطي ثمراً.

وهنا تكلم الرب «هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي. فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم» (العدد ١٣). «من يد الهاوية أفديهم. من الموت أخلصهم. أين أوباؤك ياموت أين شوكتك يا هاوية» (هوشع ١٣:١٤). «وأجعل فيكم روحي فتحيون وأجعلكم في أرضكم».

لقد رأى حزقيال العظام اليابسة في رؤياه وقد صارت جيشاً عظيماً جداً جداً (٣٧: ١٠). وقد امتلأوا جميعاً من روح الله الخالق العظيم والقادر على كل شيء، يهوه اسمه (خروج ٦:٣). وتلك رسالة الرجاء العظيم التي على نبي السبي أن يعلنها بوضوح لشعبه البائس، بأنه سيحل فيهم بروحه القدوس روح التطهير من كل نجاسة ورجاسة الأمم ويحل بملء الشجاعة والقوة. ويلبسهم روحاً جديداً وقلباً جديداً (حزقيال ٣٦:٢٤-٢٨)، «فيعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب» (١٤:٣٧). نعم «يعلمون إني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم. ولا أترك بعد واحداً منهم ولا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي عليهم يقول السيد الرب» (قارن ٣٩:٢٨-٢٩).

تأديب السبي ليس إلى الموت

لم تكن حالة المسبيين بالدرجة السيئة في بابل أرض السبي كما سلفت الإشارة، فقد مُنح اليهود الجزء اليسير من الحرية الاجتماعية والفرص الاقتصادية، حتى كانت لهم اليد الطولى في النشاط الاقتصادي كما يرى أحد العلماء. فكان منهم أحسن حالاً من ذويهم الذين كانوا في بلادهم (قارن كلمات التوبيخ المباشرة لهم من النبي إشعياء

٥٥:١-٣). إذ يدعوهم إلى الارتواء الحقيقي، والشبع الحقيقي، وحتى يذكروا حقيقة وجودهم في أرض غريبة.

وكان حزقيال النبي راعياً ومنذراً ومعلماً، لكل يهود السبي في بابل، وداعياً لحفظ شريعة إله السماء والعمل بها.

لكن الخطر الذي واجهه اليهود في بابل تمثل في مواجهة الثقافة البابلية المتقدمة في ذلك الوقت، وأسلوب العبادة أمام أسلوب الحياة المتواضعة التي كان يحياها شعب اليهود في يهوذا. كما يتكرر ذلك في أيامنا المعاصرة مع من يأتي من بلاد نامية أو متخلفة ويصطدم بالحضارات الغربية المتقدمة.

إنها نفس المشكلة التي واجهها الإسرائيلي بعد تركه برية سيناء ودخوله أرض كنعان واختلاطه بالشعوب الأجنبية.

لقد شاهد المسبيون بابل العظيمة وحضارتها المتقدمة، وبالنسبة لهم بدت الآلهة الأخرى هي السائدة. وهل لهم أن يعبدوا الرب إلههم في أرض غريبة كهذه «وأين لهم ذلك وهم بعيدون عن الهيكل» وتذكر المكرسون منهم الفرح والابتهاج الذي كان لهم في صهيون في بيت الرب في أورشليم. وقد عبر المرنم أصدق تعبير عن هذه المشاعر الجياشة في (مزمور ١٣٧) «على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا تذكرنا صهيون... علقنا أعوادنا... معذبونا سألونا قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون... وكيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. وكيف أنسى أورشليم، إن نسيتك يا أورشليم لتعجز يميني وتفقد مهارتها. وليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. وإن لم أفضل أورشليم على أعظم أفراحي». ويختتم المزمور بطلب نقمة الرب على بني أدوم الذين طلبوا بل هتفوا لخرابها. وعلى البابليين الذين اقتحموا أورشليم لتدميرها (مزمور ١٣٧:٧-٩). لكن بعض اليهود المسبيين تأثروا بالثقافة والعبادة البابلية وممارساتهم الغريبة الرجسة، كما حدث مع غالبية المسبيين اليهود في مصر والذين اختلطوا بعبادات المصريين كما توضح ذلك برديات اليفنتين **Elephantine Papyri** خلال القرن الخامس ق.م. وبذلك فقدوا هويتهم بعبادة آلهة أخرى بجانب إلههم يهوه إله السماء والأرض.

كان لحزقيال نبي السبي دور هام في حث المسبيين في بابل بالتمسك بشريعة الرب وحفظ شرائعه وأحكامه، ومواصلة الدور الذي قام به النبي إرميا من قبله، في الرسالة التي كتبها وأرسلها لشعب اليهود في بابل، يحثهم فيها على العبادة والمواظبة على الصلاة والطلبة أمام الرب في أرضهم الغريبة، حتى وإن كانوا بعيدين عن هيكل الرب في أورشليم، فإنهم سيجدون طريقهم إلى الله. «تُصلون إليَّ فأسمع لكم وتطلبونني فتجدونني بكل قلبكم فأوجد لكم يقول الرب وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب، وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه» (إرميا ٢٩:١٢-١٤).

وتأكد الشعب من هذه الحقيقة أن الرب في وسطهم ولن يتركهم في أرض السبي، ويمكنهم عبادته في أي مكان يوجدون فيه ويسمع لهم لأنه هو نفسه يكون مسكنهم في تلك الأرض الغريبة. في هذا تراءى مجد الرب لحزقيال النبي قائلاً له: «لذلك قل هكذا قال السيد الرب وإن كنت قد أبعدتهم بين الأمم، وإن كنت قد بددتهم في الأراضي. فإني أكون لهم مقدساً (مسكناً) صغيراً في الأراضي التي يأتون إليها.... وأجمعهم ثانية وأعطيهم أرض إسرائيل. وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلهم روحاً جديداً. وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي... ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً» (١١:١٤-٢٠).

إن الرب لا يرتبط بمكان معين حتى يسمع لشعبه وإن كانوا بعيداً عن الهيكل الذي في أورشليم في أرض سبيهم. ويؤكد ذلك سفر الشريعة بالقول ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها. «ثم إن طلبت من هناك الرب إلهك تجده إذ التمسته بكل قلبك وبكل نفسك» (تث ٤:٢٧ و٢٩).

وكان يهود السبي يجتمعون في شكل مجموعات صغيرة، بعد أن اعتاد شيوخهم الذهاب إلى حزقيال في بيته، للتشاور معه للعبادة والتعلم الديني حسب شريعة موسى من الرب.

ويرى بعض العلماء أن الكلمة مجمع Synagogue من كلمة يونانية تعني التجمع معاً للعبادة والتعليم والتي تأسست فكرتها خلال فترة السبي. بهذا يمكن القول إن فكرة المجامع نشأت استجابة للحاجة الملحة التي أحس بها الشعب، زمن السبي البابلي لأنهم بعيدون وغرباء عن أرضهم وعن هيكلهم في أورشليم.

لم يضعف شعور الانتماء بينهم كجماعة العهد بل ازداد رسوخاً ومتانة في داخلهم في أرض السبي حتى وإن لم يكن لهم تحالف قومي، كرسوا أنفسهم لحفظ التوراة حتى لا يحجب الله وجهه عنهم (راجع إش ٨:١٦-١٨).

وقام كثيرون من الكهنة اللاويين بجانب حزقيال، بمهمة التعليم والتفسير لشريعة الرب، والمشورة النافعة والبانية في ضوء الكلمة المقدسة للشعب في أرض غربتهم. حيث كانوا يحفظون غيباً أجزاء عديدة من شريعة الرب. لأن بعضهم أحضروا أجزاء مكتوبة من الأسفار المقدسة كما يرى بعض الباحثين (قارن ٢أخ ٣:١٥، ٩:١٧، ٣:٣٥)، معلمين ومرشدين بطرق الرب ووعده لهم وكيف يعبدونه ويخدمونه. بمعنى أن التعليم الكهنوتي استمر خلال السبي كما كان في هيكل أورشليم، الأمر الذي أصّل فيهم الرجاء، وأن وعد الرب لهم سوف يتحقق «في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة (والتي أعقبها السبي) وأحصن شقوقها، وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر» (عاموس ١١:٩). وأن ما جاء بهذه النبوة سيتحقق بعد العودة من السبي «وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً، ويشربون خمرها. ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها. وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك» (عا ١٤:٩).

غير أن هذه النبوة لا تتحدث فقط عن العودة من السبي في بابل، بل تشير أيضاً إلى الوعد والرجاء المسياني الذي يتحقق في المسيح يسوع بقوله في (العدد ١٢): لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم. إشارة إلى انضمام باقي الأمم وتمتعهم بنعمة المسيح الفادي (قارن أع ١٥:١٦-١٧). «لأن ليس عند الله محاباة ولا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ١٠:٣٤-٣٥).

جوج وماجوج

ورد الحديث عن جوج وماجوج بالسفر في (٣٨:١-٣٩:٢٩) بعد رؤيا حزقيال النبي عن العظام اليابسة والتي تعبر عن مشاعر الشعب اليائسة، وقد استولى عليهم الحزن والفشل القاتل الذي تمثل في القول «يبست عظامنا، هلك رجاؤنا، قد انقطعنا» (٣٧:١١). وحالما ينقشع كل هذا القتام بتفجير النور الإلهي العظيم الذي يكشف عن هذه العظام اليابسة قد صارت جيشاً عظيماً جداً جداً (٣٧:١٠)، بعد أن اكتست بالعصب واللحم وكساها الجلد ودخل فيهم روح الرب فحيوا. ويُختتم هذا الأصحاح بوعد الرب لهم، وقد صاروا أمة واحدة: «ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين وهم يكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً. وداود عبدي يكون ملكاً عليهم». والإشارة هنا عن أيام داود المجيدة التي عاشوا فيها واتسعت في أيامه المملكة وسلمها لابنه سليمان عشرة أمثال يوم تسلمها بعد شاول (بن قيس). هذا من جهة، ومن جهة أخرى كما يرى علماء الكتاب أن الكلمات «داود عبدي يكون ملكاً عليهم» تشير إلى مجيء الرب في الجسد يسوع المسيح الابن الحبيب (إش ٤٢:١، مت ٣:٣٧، إش ٤٩:٣، ٦، ٥٣:١١ مع فيلبي ٢:٧).

وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً، وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد (٣٧:٢٦). ويثير (الأصحاح ٣٧) بعض الأسئلة عند بعض العلماء. هل معنى هذا أن شعب الله سوف يحيا آمناً وفي سلام تام وليس من يقف أمامه؟ ألا يوجد أعداء يهاجمونهم ويعملون على إبعادهم عن الله لتدميرهم؟ وفي رأي

هؤلاء العلماء أن (أصحاحي ٣٨، ٣٩) الخاصين بجوج وماجوج، بهما الإجابة الوافية والكافية على كل تساؤل.

وحري بنا في هذا المقام أن نستعرض رأى العلماء فيمن هو جوج وجمهوره، وماجوج أعداء شعب الرب وعاقبتهم. ولابد أنهم مقتدرون وأقوياء وكيف لهم مقاومة شعب الرب وقد قطع معهم عهداً أبدياً (٣٧:٢٦).

الآراء المختلفة حول جوج وماجوج

تعددت الآراء حول جوج وماجوج وعما إذا كان شخصية حقيقة أو رمزية أسطورية أو شعباً أو مكاناً بعينه.

كان جوج رئيساً على ماشك وتوبال (والتي يعتقد البعض أنها في منطقة شرق آسيا الصغرى أو شرق تركيا) وربما أخذ اسم جوج من الكلمة جيجيس Gyges of Lydia كان أحد رؤساء العائلات الليدية ما بين عامي ٦٧٠-٦٥٣ ق.م. وكان يدعوه أشور بنيبال جوجو Gugu وكانت تجمع بينه وبين أشور بنيبال صداقة قوية بعد منافسات شديدة من قبل. وبعدها تحولت صداقته نحو مصر ضد الأشوريين، الأمر الذي أثار غضب ملك أشور فقام وغزا ليديا وقتل Gugu (أي جيجيس) عام ٦٥٣ ق.م تقريباً.

ويرى ألبرايت W.F. Albrught أن جوج شخصية تاريخية حادثة في مخطوطات الحثيين Hittite المرتبطة بالمنطقة الموحشة على جانب أرمينيا وكبدوكية. والكلمة جوج من الكلمة السومرية Gug التي تعني ظلمة. ولذلك كان جوج تشخيصاً ورمزاً للشر والظلمة.

أما هـ.فينكر H. Winckler فيرى أن جوج اسم مستعار ويشير إلى الإسكندر الأكبر. بينما ل. سينيكا Sei-necke فيربطه بشخصية أنطيوخس الرابع أبيفانس. أما ج.ر. بيري G.R. Berry فيرى أن جوج هو أنطيوخس الخامس.

وجاء في الترجمة السبعينية ما يوضح أن ماجوج هو شعب وليس بلداً بعينه (قارن ٣٩:٦)، الأمر الذي يؤكده ر.ك. هاريسون R.K.Harrison.

ويرى بعض العلماء أن شعب ماجوج هم سكان ماشك وتوبال (سكان شرق آسيا الصغرى) المعروفين بالقبائل السكيثية الشرسة والتي لا تعرف الرحمة. قساة وعتاة وعرفوا بالبربرية (قارن كولوسي ٣:١١)، كما عرفوا بتجارة الرقيق من أيام حزقيال النبي (٢٧:١٣) واشتهروا بالقسوة والبطش (٣٢:٢٦).

مما سبق نخلص إلى أن جوج وماجوج رمز للشر والظلمة وكل عداء لشعب الرب. لكن الرب يعرف خاصته الذين قطع معهم عهداً أبدياً لا ينقطع وسوف يحطم أعداءهم ليحفظهم من كل شر. وما يخبرنا به حزقيال النبي عن فم الرب عن جوج وماجوج يُعد رسالة تعزية لكل من يؤمن بالرب إلهه.

يتحدث حزقيال النبي هنا عن شعوب معاصرة ومعروفة لديه، مثل ماشك وتوبال. شعوب قريبة وأخرى أكثر بعداً مثل فارس والحبشة وفوط، التي ربما قُصد بها شرق أفريقيا. وجومر جبابرة ظلام وتوجرمة من أقاصي الشمال (المنطقة القديمة المتاخمة لأرمينيا) (٣٨:٥) كرمز لاتحاد القوات الشريرة المتحالفة ضد شعب الله لتدميره وهذا التحالف برئاسة جوج ممثلاً للشر والظلم والبطش. إلا أن هذه الشعوب الباغية ستُهزم لا محالة، وهزيمتها ستكون ساحقة. «لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم ياجوج» (٣٨:١٦). «ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب أن غضبي يصعد في أنفي، وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت، أنه في ذلك اليوم.. أستدعي السيف عليه في كل جبالي يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوبأ وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة، وناراً وكبريتاً. فأتعظم وأتقدس وأعرف في عيون أمم كثيرة فيعلمون أني أنا الرب» (٣٨:١٨-٢٣).

«وأضرب قوسك من يدك اليسرى وسهامك من يدك اليمنى، ويسقط جيشك والشعوب الذين معك وأبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة، ولوحوش الحقل. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين فيعلمون أني أنا الرب، ولا أدع اسمي المقدس ينجس بعد. فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل وفاديه» (قارن ٣٩:١-٧). «وهناك يدفنون جوجاً وجمهوره كله ويسمونه وادي جمهور جوج، ويقبرهم شعب إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة شهور. ويكون يوم تمجيدي مشهوراً يقول السيد الرب» (١١-١٣). وأجعل مجدي في جميع الأمم الذين يرون حكمي وقضائي الذي أجريته (العدد ٢١).

وعن إسرائيل الذين أسلمهم الرب ليد مضايقيهم فسقطوا بالسيف، كنجاستهم ومعاصيهم فعل معهم، لأن الرب حجب وجهه عنهم (٢٣-٢٤، قارن تث ١٧:٣١، إش ٢:٥٩)، والآن أرد سبي يعقوب يقول السيد الرب، وأرحم بيت إسرائيل. ويملأهم الخزي والعار عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف من جراء أفعالهم الأثيمة. ورحمة الرب لهم الذي عمل لهم كل هذا لأجل اسمه القدوس (قارن ٣٩:٢٦-٢٧، ٣٦:٣١).

ويرى كثيرون من علماء الكتاب أن الحديث عن جوج وماجوج في (أصحاحي ٣٨، ٣٩) لا يعبر عن حدث تاريخي محدد. فالبحث عن أحداث تاريخية واقعة بعينها في التاريخ المعاصر، كما يفعل البعض، إنما يؤدي إلى تشويه الحقيقة وضياع الفكرة الرئيسية الهامة المتضمنة. هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، فعندما تُدَرس الكلمة بعناية وتُفهَم على حقيقتها، يتمتع المرء بكل الغنى الكامن فيها ويمتلىء تعزية وطماناً. لأن هذه النبوة تعلن لكل مؤمن في كل مكان وزمان، عن كم هو عظيم الشر الذي يحيط بشعب الله والقوات المحيطة والمتربصة به.

إلا أن هذه الحقيقة لا تسبب انزعاجاً أو قلقاً، أو تثير تخويفاً أو تثبيطاً مادامت هذه القوات (الأعداء) لاتعبر إلا عن عظم وقدرة إلهنا. لأن الله وحده له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، وصيحة كل مؤمن «إن صخرتهم ليست كصخرتنا» (٢صم ٢٢:٢-٣، مزمور ١٨:٢).

السيد الرب هو الراعي الصالح

جاءت صورة العودة من السبي مثل صورة راع وقطيعه: الصورة التي لها دلالتها الهامة والواضحة في كل من العهد القديم (مزمور ٢٣، ١٠٠:٣، إش ٤٠:١١)، وكذلك في العهد الجديد (لوقا ١٥:٣-٧، يوحنا ١٠:١-٨). وعلى النقيض تماماً من صورة الرعاة المزيفين غير الأمناء الذين يهتمون بأنفسهم أكثر من الرعية: بل هم يرعون أنفسهم (٣٤:١-٦، قارن إرميا ٥:٢٨، إش ١٠:١٦، ٣٤:١٨-١٩) على عكس ما أوصاهم به الرب (لا ٢٥:٤٣، قارن ١بط ٥:٣).

إن الرب هو الراع الصالح الذي يفتش عن المريض ليقويه والمجروح ليعصبه، والمكسور حتى يجبره والمطرود ليسترده والضال حتى يجده. لأنه هكذا قال السيد هأنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفهم عن رعي الغنم ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد فأخلص غنمي من أفواههم فلا تكون لهم مأكلاً (قارن إرميا ٥٢:١٠). هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها قال السيد الرب. كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه. هكذا أفتقد غنمي وأخلصها من جميع الأماكن التي تشتت إليها في يوم الغيم والضباب. وأخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي. وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل في الأودية (٢٨:٢٥، ٣٦:٢٤، ٣٧:٢١-٢٢، إش ٦٥:٩-١٠، إرميا ٢٣:٣)... وفي مرعى دسم يرعون على جبال إسرائيل... وأطلب الضال وأسترد المطرود، وأجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوي وأرعاها بعدل (٣٤:١٠-١٦).

لم تكن تلك الرعاية وهذه الوعود لأن إسرائيل أفضل من سائر الشعوب (٣٦:٢٢ و٣٢)، بل لأجل اسمه القدوس (قارن تث ٧:٧-٨، ٩:٥-٧، مزمور ١٠٨:٦)«فأقدس اسمي العظيم الذي نجستموه في الأمم. فتعلم أني أنا الرب

يقول السيد الرب». لأن ما أصاب إسرائيل من عقاب ومأساتها في أرض يهوذا، والسبي إلى بابل. جعل أمم الأرض تفكر بأن إله إسرائيل صار عاجزاً عن تخليصهم، وهذا التفسير الخاطئ لهزيمة إسرائيل وانكسارها أمام بابل جعل اسم الرب القدوس منجساً. لأجل هذا أراد الرب أن يقدس اسمه بين الأمم. يقدس الاسم الذي تنجس بين الأمم بسبب إسرائيل ورجاساتها وشرورها. لذلك ينبر حزقيال النبي على أن الرب سيحدث تغييراً جذرياً وعملاً عجيباً في الأرض، حتى يكون شعبه شعباً مقدساً صورة مباركة ومجيدة للرب، ويكونون شهوداً للأمم ونوراً للشعوب. وتلك هي الرسالة الهامة والأساسية من اختيار الرب لإسرائيل ورعايته لهم (إش ٤٣: ١١-١٢، ٤٤: ٨). و«أعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحي في داخلكم. وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها. وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إياها. وتكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً» (٣٦: ٢٦-٢٨، قارن ١١: ١٩-٢٠).

وهنا يُظهر حزقيال عمل النعمة الإلهية في رد الشعب إلى أرض الموعد التي تفيض لبناً وعسلاً، وتعود الأرض تعطي غلتها وثمارها الوافرة وتفيض ببركات عديدة. «وأجعلهم بركة» يقول السيد الرب وأنزل عليهم المطر في وقته، فتكون أمطار بركة ويكونون آمنين في أرضهم، ويعلمون أني أنا الرب عند تكسيري ربط نيرهم لأخلصهم من يد الذين استعبدوهم، فلا يكونون بعد غنيمة للأمم... بل يسكنون آمنين ولا مخيف» (٣٤: ٢٦-٢٨، قارن لاويين ٢٦: ٦). إنها نعمة الرب وأمانته للعهد الذي قطعه مع آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب (تث ٩: ٥). وها هو يجدده معهم الآن «أقطع معهم عهد سلام» (٣٤: ٢٥)، فيسكنون مطمئنين وينامون آمنين: «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب» (إش ٥٤: ١٠). وعلى إسرائيل أن تكون أمينة لعهد الرب إلهها حتى يكون لها التمتع بالسلام في حياتها (إش ١: ١٩-٢٠). وبأمانة الشعب يتحقق لهم الوعد المبارك (إش ١١: ٦-٩، ٣٥: ٩-١٠، هوشع ٢: ١٨) «لأنه هكذا يقول السيد الرب، أجعل مسكني فوقهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٣٧: ٢٦-٢٧).

وبعد أن يُرجع الرب الشعب إلى أرضهم، يعطيهم راعياً واحداً يرعاها «أقيم عليها راعياً واحداً فيرعاها عبدي داود هو يرعاها. وهو يكون لها راعياً وأنا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم. أنا الرب تكلمت» (٣٤: ٢٣-٢٤ قارن ٣٧: ٢٣-٢٥). وفي هذا يرى علماء الكتاب إشارة إلى مجيء المسيح الرب في الجسد، راعي الرعاة الأعظم، الراعي الصالح (٢صم ٧: ١٢، مز ٢: ٦، قارن أيضاً أع ٢: ٣٠، ١٣: ٢٣).